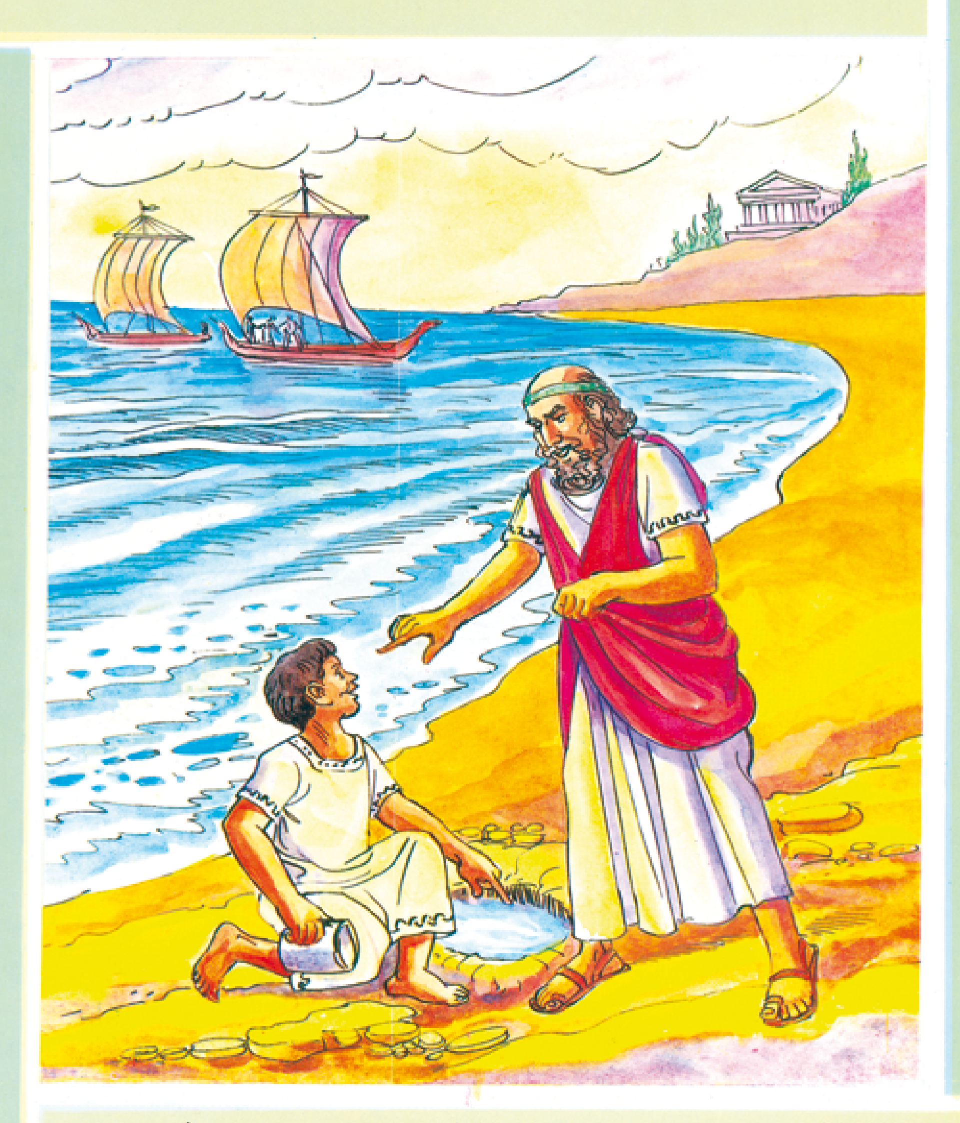
آيات وقصة

ثم استوى على العرش

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم

٦٢



محمد علي قطب



أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
(٦٢)



تأليف

محمد على قطب

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربى

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أطفالنا أمانة غالية، نعمة الله، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة..

وهذه السلسلة ..

ـ تُربى أولادَنا تربيـة إسلاميَّـةً تعتمـدُ عَلَى هُدًى من كِتـابِ الله «القرآنِ الكريم» تعـرِضُ القصصَ عـلى حسَبِ ترتيـبِ المصْحَف لِتكوِّنَ فـى النهايةِ «التـفـسيـر القصَصىَّ للقرآنِ الكريـمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلى هذا التـفسير الذى يَصِلُهمْ بماضيهم العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهم ومُستَقْبلِهِمْ.

ـ وفى هذه الطَّبْعَة الجَديدَة حَرِصْنَا أنْ تكون الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا مِنْ شقَّيْنِ .. الشقُّ الأوَّلُ: عدَّةُ أَسْئِلَة تَحْفزُ القَارئَ عَلَى أنْ يُعيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّـةَ جَيدًا ليجيبَ عن هذه الأسـئلَة، فتستقـرَّ المعانى فى ذهْنِه، ويزيد عِلْمًا بما فيها مِن قِيمةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نرجُوهَا من نشْرِ هذِه القصَص.

ـ أما الشقُّ الثانى من المُلْحَقِ: فهو دُروسٌ فى قواعدِ اللغةِ العربيَّة «عِلم النَّحو» إذا تَتبَّـعها القَارئُ دَرْسًـا بَعْـدَ درسٍ من بدايةِ السِّلْسلة إِلَى آخرِهَا يَصِـيرُ عَلَى علْمٍ بالحدِّ الأَدْنَى مِنْ قَواعدِ النحوِ التى لا يَنْبَغِى لقارئ أَنْ يجـهَلَهَا، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخَطأِ...

وبهذه القـصَص وما يَتْبـعُهَا من دُرُوسٍ فى اللغَـة نكونُ قَد حصـلْنَا عَلَى فائدة مزْدوَجة، مِنْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعدِ لغتنا، وَهوَ مَا يَنْبَغِى أنْ نُربِّىَ عَلَيْهِ أجْيالَ أبْنائِنَا القَادمة.. فنستعيدَ مَجْدَ الماضِى لنبنىَ علَى أُسُسه حضَارَةَ المُسْتَقْبَلِ.

﴿ ربَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجْعَلْنَا للمتقين إِمَامًا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر تلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبّكَ الْحَقُّ ولَكنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لا يُؤْمنُونَ (١) اللَّهُ الَّذي رَفَعَ السَّمَوات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبّرُ الأَمْرَ
يُفَصّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بلقَاءِ رَبّكُمْ تُوقنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ
فيهَا رَوَاسيَ وَأَنْهَارًا وَمن كُلّ الثَّمَرَات جَعَلَ فيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشي اللَّيْلَ
النَّهَارَ إِنَّ في ذَلكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفي الأَرْضِ قطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ
وَجَنَّاتٌ مّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخيلٌ صنْوَانٌ وَغَيْرُ صنْوَانٍ يُسْقَىٰ بمَاءٍ وَاحدٍ
وَنُفَضّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ في الأُكُلِ إِنَّ في ذَلكَ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يَعْقلُونَ (٤)
وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئذَا كُنَّا تُرَابًا أَئنَّا لَفي خَلْقٍ جَديدٍ أُوْلَئكَ الَّذينَ
كَفَرُوا برَبّهِمْ وَأُوْلَئكَ الأَغْلالُ في أَعْنَاقهِمْ وَأُوْلَئكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيهَا
خَالدُونَ (٥) ﴾

تَفْسير الكلمات :

١ - **بِغَيْر عَمَدٍ** : من غير دعائم وأَعْمِدَة، أَوْ أساطين تقومُ عليْها.

٢ - **استوى على العرْش** : استواءٌ يليقُ بِهِ سُبحـانه وتعالى، من غير كيْفٍ ولا تشبيه ولا تمثيل.

٣ - **يُدبِّرُ الأمْرَ** : يُصَرِّفُ شؤونَ الخلق والعوالم بقُدرتِهِ وحكمتِهِ.

٤ - **مَدّ الأَرض** : جَعلَها مَبْسوطَةً كما يتراءى لعين الناظر.

٥- **رواسى** : جبالاً ثقيلةً ثابتـةً، ذات جذورٍ فى الأرضِ كالأوْتاد، حَتى لا تميلَ ولا تميلَ..

٦ - **زوْجين** : نَوْعين وصِنفيْن (الذّكر والأنثى).

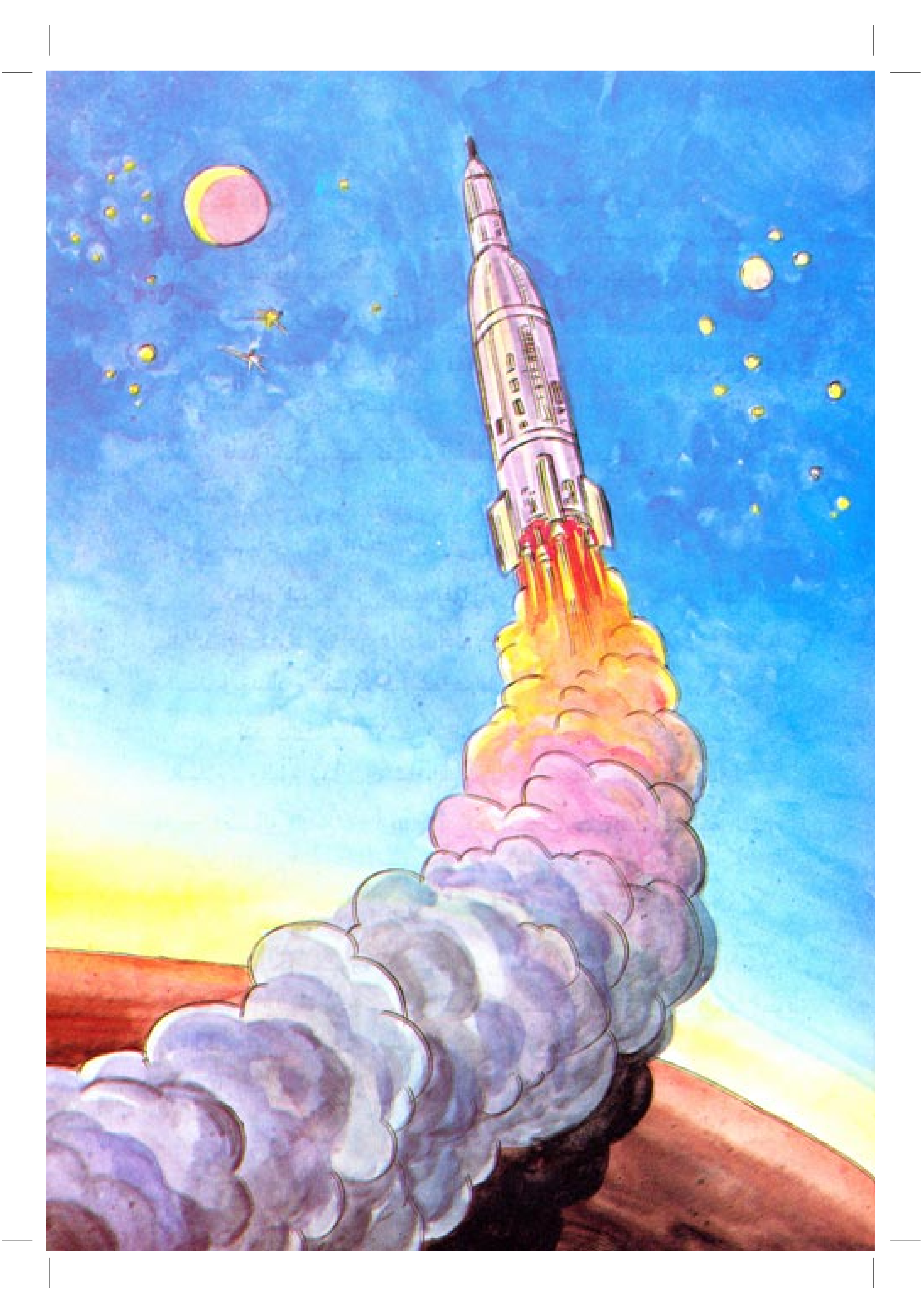
٧- **يغشى الليل النهار** : يُلبس النهار ظُلمةَ الليل، أَو اللَيل نور النهار.

٨ - **قِطَع** : بقاعٌ مختلفة التركيب العُضوى والصِفات والألوان.

٩ - **نخيل صِنوان** : عَدَدٌ من أشجار النخيل يجمعها جذرٌ واحد.

١٠ - **الأُكُل** : ما يُؤكل من ثَمَر وَحبّ وخُضار.

١١ - **الأَغْلال** : الأَطواق مِنَ الحديد، تطوّقُ بها رقاب العَبيد (الرقيق).



استوى «أبو أيمن» فى مقعده الوثير وبيده سُبْحَتُهُ، يُسْمَعُ لحبَّاتها الكَبيرةِ السَّوداءِ طَقْطَقَةٌ مُتَلاحِقَة، وشَفَتَاهُ تَتَحَركان بتمتمةٍ خَفيضة، يَذْكُرُ اللهَ تعالى تسبيحًا وَحَمْدًا وَتَكْبِيرًا.

«أَيْمَنُ» عن يمينه وَ «أَشْرَفُ» عن يساره . . ، لا يَنْطِقَانِ بكلمة، كى لا يقطعا عليه دُعَاءَهُ وصَفَاءَه.

فلّما انتهى بَسَطَ كَفَّيْه وقَرأ الفاتحة، ثم مَسَحَ بيديه وجْهَهُ وكَتِفَيْه وَصَدْره.

ثم نادى : يا «إيمان» . . أَيْن أنتِ يا ابنتى؟

فجاءَهُ صَوْتُها من بعيد يقول : حاضر يا أبى. . ، إنَّني أُعِدُّ الشاى، وَقد انتهيتُ، ثوانٍ قليلة وأكونُ بيْن يديك.

وَبَعْد أَنْ رَشَفَ الأَبُ رشفاتٍ قال :

ـ لقد كانت ليلةُ الأمْس ختام حديثنا فى سورة سيدنا «يوسف» ـ عليه السلام ـ واليوْم نبْدأُ ـ إن شاءَ اللهُ تعالى ـ حديثنا بسورة «الرعْد» . .

فَسَأَله «أَيْمَنُ» : أُريدُ يا أبى أن أعْرف كيفَ تمّت تَسْميةُ السُّوَرِ فى القرآن الكريم؟

فأَجابَ «أبو أيمن» قائلاً :

ـ إن لكُلِّ سورَةٍ محْوراً تدورُ حوْلَهُ كُلُّ الآيات، والأفكار التى اشتَمَلَتْ عليها، وبِه تُسمى السُّورة، كسورةِ «البقرة» مثلاً من الطِّوال، و«الكوْثر» من القِصار، أَما التسميةُ فكانَتْ من رسولِ الله «ﷺ» عن «جبريل» ـ عليه السلام ـ ، عن رَبِّ العزّةِ ـ جلَّ جلالُه ـ.

وقال «أَشْـرَفُ» : من عَجب ـ يا أبى ـ أَن سـورةَ «الرّعْد» مدنيّـة، أى أنها نزلَتْ بعد الهجرة، وقد نما الإسلامُ وَكَـبرَ وشَبَّ. . ، وأَصبَحَ للمسلمين سلطان، ونحنُ نَعْرِفُ أَنَّ مُـعْظم السّور والآياتِ التى نزلت بعـد الهجرْة كـانت تدور آياتها حولَ التـشريع والتنظيم، فمـا الحكمة من استـمرار الحديث عَنْ خَلْقِ السـماوات والأرْض، واخـتلاف اللَّـيْل والنهار، وغـيـرها من الآيات الدالّة عَلَى قـدرة الله الخالق؟

فأجابَهُ «أبو أَيمن» :

ـ لا تَعْـجبْ يا ولـدى . . ، أَوَلَيْس فى زمـانِنَا اليْـوم مَـنْ يُنكر وجـودَ الله تعالى؟ أَوَلَيسَ فى زماننا مَنْ يُنكرُ قُدرته ـ سبُحانَه ـ ؟

ولقد أَرادَ الله تعَالى أَنْ يَدْمغ عُقُولَ الكافرين والمُعاندين فى كلِّ عَصْرٍ بالغَبَاءِ والجهالَة؛ فَخَاطَبَهُم بقَوله : ﴿**اللهُ الذى رَفَعَ السَماوات بِغَيْـرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها. .**﴾ إذ أَنَّ رَفْعَ أى بناء وَتَعْلِيَـتَهُ لا يَتم من غيـرِ أساساتٍ وأَعْمِـدة، يرْتَكِزُ عَلَيْهَـا وَيَسْتَنِدُ إِلِيْهَا. . ، وَإلاَّ فإنّهُ واقِعٌ حَتْمًا . .

هذا فى حُكْمكم ومفهـومكم ومنطق حياتكم البشـرية. . ، أمَّا السَّماوات، وما أَدْراكَ مـا الْسّمـاوات فى علُوّها الذى لا يُدْرَكْ!!! واتّسـاعها الذى لا نـهايةَ له!!! وكواكبها التى لا حصْرَ لها!!!، فَقدْ رَفَعَهَا الله ـ جلَّ جلاله ـ مِنْ غيرِ عَمَدٍ تَرَوْنها، فَهَلاّ أَدْرَكْتُم وآمنْتُم، وسَلّمتُم بالْمُعْجزة، واتّبعْتُم الرّسولَ؟؟!!.

وَتَحْضُرنى الآن ـ يا أَبْنَائِى الأعزّاء ـ حكاية أَوّلِ رائدِ فضاءٍ فى عصْرِنَا، كان اسْمُهُ «جَـاجَارين»، وكان من «الاتحاد السـوفياتى»[1]؛ وكانت الفكْرَةُ الشيـوعية، القائمةُ عَلَى الإلحّادِ، تحْكُمُ البلادَ والعِـبَاد؛ وَقُدِّرَ لهَذه الدّولة أَن تخطو فى مَيْدانِ

(١) سابقا.

العِلْم والاكْتشافِ خُطوات واسعةً، حتى إنّها بَعَثَتْ بِأَوَّلِ رائد فَضَاءِ فى مَرْكَبَةٍ. . !

وَأَرْجُو يا أَعزّائى أَنْ لا تَفْهَمُوا مِن كَلِمَةِ (الفَضاء) معناها المطلق. . ! ذلك أَنَّ العِلم والعلمـاء فى هذا الميدان ما يزالـون فى أَوَّلِ الطريق، كالطِّفل الذى يَحْـبو، وَلَمْ يَقِفْ على قدَمَيْهِ بعد. . ، وهم يعرفوُن ذلك.

إنَّ أَعظمَ مـا اسـتطاعَهُ العِـلمُ من خلال مـرْكـبـة الفضـاء، التى حـملت «جاجارين» أَنْ تخْرجَ عن نطاقِ الجاذبيةِ الأرضـيَّةِ، ثُمَّ تعودُ بصاحِبِهَا إلى الأرضِ ثانيةً.

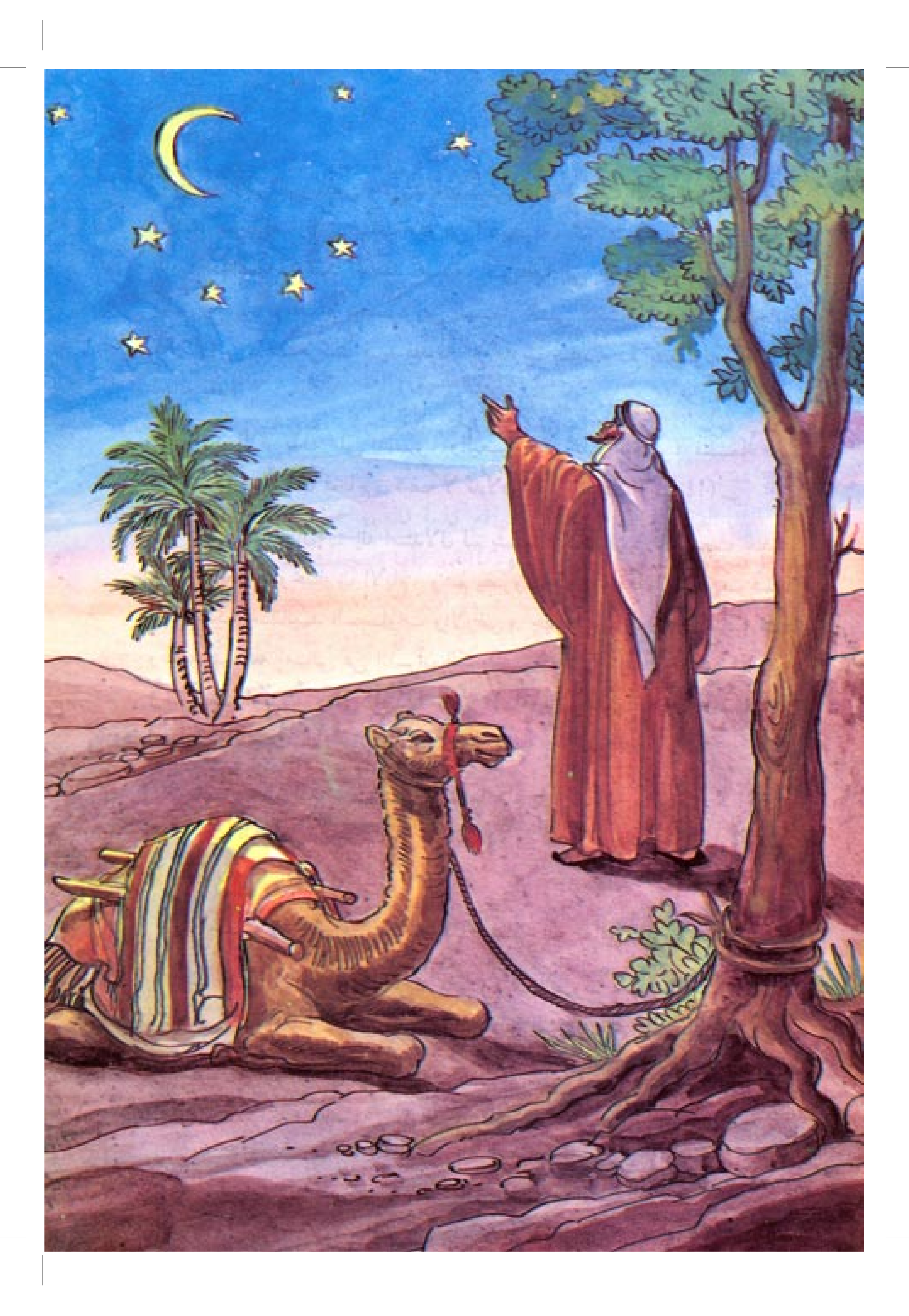
لكنَّ التّـعليق الذى صَـدَر عن «جاجـارين» هو الذى يَسْـتوقـفُنا، ويُذكِّـرُنا بالجاهليةِ الأولى. . ، وما سَبَقها. . ، ومـا يلْحَقُ بها. . ، من كُفْرٍ وإلحاد؛ لقد قال فى سخرية واستهزاء: (لقد فَتّشْتُ عن الله فى السماء فَلَمْ أَجِدْهُ). . !!

فقال «أشرف» مُعَلِّقا: ﴿**قُتِلَ الإنْسانُ ما أَكْفَرَه**﴾. . فَهَل يظنُّ هذا الغبىُّ ـ وأمثالُه ـ أَنّ الله تعـالى يَتَحيّزُ وَيَتَـمَثّل؟ وأنه ـ سُبحانه ـ علـى بُعدِ خُطوات؟ وقد ﴿**وَسِعَ كُرْسيُّه السَّماواتِ والأَرْضَ**﴾. . .

وأضـافَ «أيمنُ»: لقد كـان أوْلَى بهذا الـرائد أَنْ يَرْجعَ إلى ذاتِهِ وتكْوينِهِ، ليُدْرك عَظَمَةَ الخَلْق والخالقِ ﴿**وَفِى أَنْفُسِكُم أَفَلا تُبصِرون**﴾؟

فقَالَ «أَبو أيْمن»: الحمْدُ للهَ الذى آتَاكما فهْما وَعِلْما.

ثمَ أَضافَ: وَلَعَلّكما تُدركان ـ وأَنْت كـذلك يا «إيمان» ـ مدَى التطابُق بين قوْلِه تعالى: ﴿. . **أفَلا تُبْصرون**﴾ وبَينَ قَوْله: ﴿**تَرَوْنَها**﴾ فى الحَثِّ على إعْمال البصر والبصيرةِ من أَجْلِ إدرَاكِ الآياتِ الكوْنيّةِ والمُعْجِزات الإلهيَّة.



ثُمَّ قال «أَبو أَيْمن» : وهذا يُذكِّرنى بقصَّةِ ذلكَ الأَعْرابىّ الذى كان يَبْحَثُ عَنْ ناقتِهِ التى ضَلّت منْهُ فى الصّحْراء، ثُمّ اهْتَدَى إليْها من خلال آثار أَخْفافِهَا، وقد أَجْهَدَ نفسَهُ، فَرَبَطَهَا إلى جذعِ شَجَرةٍ، وَجَلَسَ يَسْتَريح. . ، وتطلّع بِبَصرِهِ إلى السّماء التى كَانت مُرَصّعَةً بالنجومِ كاللآلئ. . ، فتَحَرّكتْ فيه فِطْرَتُهُ، وتجَاوَبَ بَصَرُهُ معَ بصيرَته، فانْطَلَقَ لسانُهُ يَقُول :

(إنَّ الأَثَرَ يَدلُّ علَى المسيرِ، والْبَعْرَةَ تدُلُّ علَى البعير، فَسَمَاءٌ ذاتُ أَبْراج، وأَرْضٌ ذاتُ فِجاج، كيْفَ لا تَدُلاَّن على الْلَّطيفِ الخبير!!).

قالتْ «إيمانُ» : إنَّهُ اسْتدلالٌ لم يَتَهيَّأ للكَثيرِ ممَّنْ تَجمَّعَتْ عندهم خزائن العلم، وتَجَارِب الأيام، وَهُم يُصِرُّونَ على ما فَعَلُوا، ثُمّ يَتَوهّمون أَنّهم مَلكُوا مقاليدَ السَّماواتِ والأَرْض، جَهْلا وغُرورا. . ، تمامًا كما وصَفَهُم اللهُ تعالَى فى القُرْآن الكريم : ﴿**حتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَهَا وازّيّنتْ وَظَنَّ أَهْلُها أَنّهُم قادِرونَ عليْها أَتاهَا أَمْرُنا ليْلا أَوْ نهَارًا فَجَعَلْناها حصيدًا كأنْ لم تَغْنَ بالأَمْس**﴾.

فقال «أبو أيمن» مُسْتبشِرًا : ما هذَا يا «إيمانُ» ـ يا ابْنتِى ـ !؟! إنّ نضوجَكِ العقلىّ يَتَواكَبُ فى مسيرةٍ واحدةٍ مع دقّةِ العبارة وقُوّةِ الاسْتدلالِ. .

فأجابت ضاحِكَةً فى حياءٍ : ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ تعالى، يؤْتيه مَن يشاء.

ثُمّ أضافت : لقد تأثّرتُ بمفهوم الفِطرة وأنا أقرأ بالأمْس الآيات البيّنات، حينَ اهتدَى سيّدُنا «إبراهيمُ» ـ عليهِ السّلام ـ إلى الإيمان.

فَسَـألها «أبو أيْمن» : وهل لَفَتَ نَظَرَكِ شىْء فى الآياتِ التى تَعـلّقَ بها نَظَرُ وقَلْبُ سيّدِنا «إبراهيم» . . ؟ القمر والشّمس . . ؟

لمْ تُجبْ «إيمانُ» علَى الفـوْر، بل سَرَحَتْ ببصرِها بعـيدا، ومرّت بكَفّـيها على جَبينِها، ثم قالت : نعم . . نعم . . .، لقـد كانَ الكِبَرُ والعلُوّ أسبابَ التعلّق وشَدِّ الانتباه . .

فقال «أبو أيمن» هذا صحيحٌ تمامًا.

قال «أيمنُ» : على ذكْـرِ الشّمس والقمر، والعلُو والكِبَـرِ، أرانا بحاجةٍ إلى بيانِ قَوْلِه تعالى : ﴿**ثُمّ استَوَى عَلَى الْعَرْش**﴾، فهُو لُبُّ الموضوعِ وأساسُهُ . .

فقَالَ الوالِد : إنَّ مَنْ يَتتبع مـواقع كلمة (الْعَرْش) فى القُرآن الكريم، يَجدها قد ذُكِرَتْ فى خمسٍ وعشرينَ آية، كُلّها تتحَدَثُ عن عرْش الله ـ سبُْحَانَه وتعالَى ـ ، وتَصِفُه بصفات ثلاث : العظيم. والـكريم، والمجيد. . .، باستثْناء ثلاث آياتٍ ذُكِرَ فيها عرْشُ «بلْقيس» ملكة «سبأ» فى اليمن.

ولقد أفـاضَ كثـيرٌ من الصَّحـابة والتَابعـين ـ رضوانُ الله عليْـهم ـ وكذلك العُلماء والفُقَـهاء والمفَسّرونَ إلى الحَديثِ عن (عَـرْشِ) الله تعالَى، وقالوا فى ذلك أقْوَالا اسْـتنبطُوها، فى محاولاتٍ صـادقةٍ مُخْلصـةٍ لِيُثْبِتـوا الصّفات التى ذكـرتُها لكم . . .

قالَ «أيْمنُ» : صِفَاتُ العظيم والكريم والمجيد . .

فأجابَهُ الوالد : تمامًـا يا عزيزى . .

قالتْ «إيمانُ» : أنا لا أَشُكُّ يا أَبى أَنّهم قَصَّروا جمـيعًا عن إدْراكِ الحقيقةِ، لأَنّ قَوْلَ الله تعالى : ﴿**وَسِعَ كُرْسيُّه السَّماواتِ والأَرْضَ**﴾ قد أَوْقَفَهُم عند حدودٍ مُعَيّنة، تَأَدُّبا مع الذاتِ العَليَّة.

فَتَبَسّم «أبو أيمن» وقال : فَتَحَ اللهُ عليْكِ يا «إيمان». .

ثُمّ أَضافَ : هذا ما دَعاهُم ـ أيْضًا ـ إلى الحُذَرِ البالِغِ فى موْضوع (الاسْتواء)، تنزيهًا للذّاتِ الإلهيّةِ عن المشابَهَةِ والمُماثَلة ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ**﴾.

وإنّه ليُعجبُنى فى هذا المجال رَدُّ الإمام «مالك بن أَنسٍ» ـ رضى الله عنه ـ عندما سَأَلَه رَجُلٌ عن قوْلِ الله تعالى : ﴿**الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كَيْفَ استوَى؟ فقالَ الإمامُ «مالكٌ» : (الاسْتواءُ غَيْر مَجْهول، و(الكَيْفُ) غَير مَعْقول، والإيمانُ بِهِ واجب، والسّؤال عَنهُ بِدْعة، وما أَراكَ إلاّ ضالاً. . !).

وأَمَرَ بِهِ أَن يخْرُجَ مِنَ المجلس.

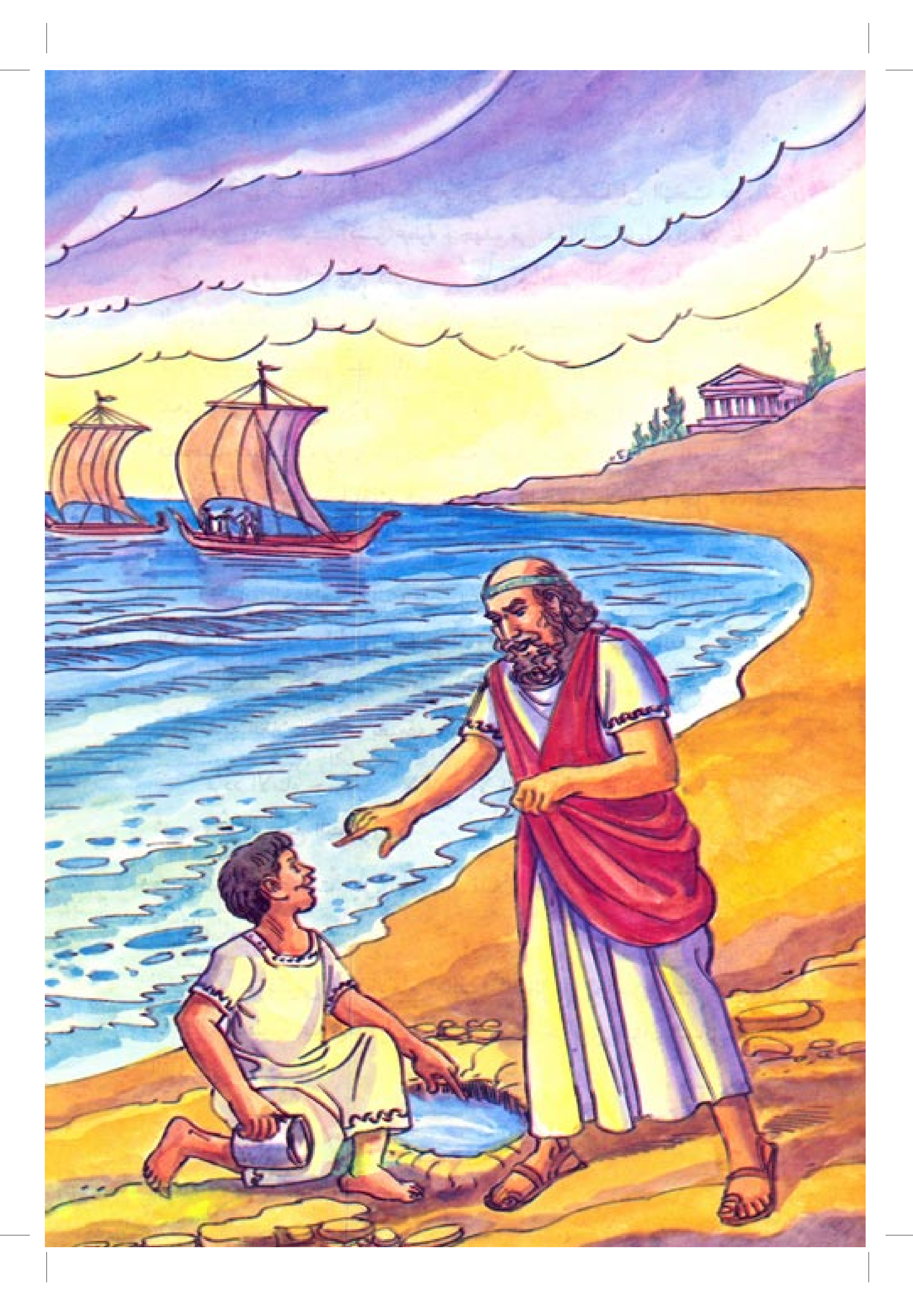
فالاستواءُ بمعنى الجُلوس والتّمكُّن غير مَجْهولٍ بالنسبةِ لنا فى حدود الأشياء الماديّة التى تَتَحيّز.

فَسَأَلَ «أَشْرَف» : وما معْنَى تَتَحيّز؟

قال «أبو أيمن» أى التى لهَا حيّزٌ، بِمعنَى الحدود، طوْلاً وعَرْضًا وعُمْقًا وارْتِفاعًا، إلى غَيْرِ ذلك. . .، لِذا نحنُ البشرَ قاصِرونَ بعقُولِنا المحدودةِ عن إدراكِ (الكَيْفية) المُتَعلّقة بالذات الإلهيّة.

قالت «إيمان» : علينا ـ إذْن ـ التَسْليم بضعْفِنا وقُصُورِنا، كما علينا واجب الإيمان بالمعنى المُجَرّد عن التمثيلِ والتشبيهِ والتكييف، أَلَيْسَ كَذَلِك يا أبى!!

فقال «أبو أيمن» :



يُحْكَى أَنَّ أَحَدَ الفلاسفَةِ الإغْريقِ كانَ مُهتمًا فى البحْثِ عن الكوْنِ وخالقه، وقد صَرَفَ أكْثرَ عُـمْرِهِ وجُهْدِه فى هذا المجال، دُون أنْ يَصِلَ إلى شىء. . ، وفى ذاتِ يَوْمٍ كانَ يسيـرُ على شاطئ البَحْرِ، يُقَلِّب البَصَرَ فى الوُجُـود ويُفَكِّر، فالْتقَى غُلامًـا عِنْد الشاطئ يلهو ويلْعَب، قَدْ حَفَرَ حُفْرَةً فى الرمال، يحْمِلُ إلْيها الماءَ مَن البَحْرِ، فوَقَفَ يَتأمّله، ثُم سألَهُ : ماذا تَفْعَل يابُنىَّ؟ قال الغُلامُ : أُريدُ أَنْ أَنْقِل ماءَ البحْـرِ إلى هذه الحُفرة!!!، فَـضَحِكَ الفَيْلَسُـوفُ وقال : وَهَل تَتَّسِعُ هذه الحـفرة الصَغيرَة لماءِ البحْرِ الذى لا يَنْفَـد!!؟ وأَنْتَ لَوْ أَنْفَقْتَ عُمرَكَ فى هذا العملِ لأتاكَ الأَجَلُ وما فَعَلْتَ شَيْئا. . !

فأجابَهُ الغُـلامُ : وأَنتَ يا سيّدى . . كيفَ يَتّسِعُ عَـقْلُكَ المَحْدودُ إلى الكوْنِ اللامحدود والخالق العظيم.؟ وأَنتَ ـ أَيضًـا ـ لوْ أنْفَـقْتَ عُمركَ فى هذا ما بَلَغْتَ ما تُريد. . ! فَأطْرَقَ الفَيْلَسُوفُ طويلاً . . ، ثُمّ مضى وَهُو يُردِّدُ مقالةَ الغُلام، مُؤْمِنا بضَعْفِهِ وعجْزِه.

فردّد الأبناءُ جمـيعا : لا إلـهَ إلا الله، خالِقُ كُلَّ شَىْء، ليـسَ كَمثْلِهِ شىء وهُوَ السّميعُ البصير.

ثُمّ رانَ الصّمتُ علـى الجالسينِ قليـلاً، وقدْ سَرَحَ الأبُ بِبَـصَرِهِ بعـيدًا، ثُم قال:

ـ ولَقد ذَكّـرنى قوْلُ الإمامُ «مالك» للسـائل : (والسؤالُ عَنْهُ بِدْعةٌ) بأَمْـرٍ ما يزالُ مـسطوراً عنـدَ أَهْلِ الكِتـاب، هو أَشَـدُّ نُكْرًا من سُـؤال الـسـائل، وَغَـفْلةِ الفَيْلَسُوفِ. . .

قالتْ «إيمان» : وما هو يا أبى؟ قال : قَوْلهم فى كتابِهم بأنّ اللهَ تعالى خَلَقَ السماوات والأرضَ فى ستةِ أيامٍ (ثُمّ استراحَ فى اليوْمَ السابعِ). . !

فقالتْ «إيمــانُ» : أَعُوذُ باللهِ مِنْ الفِتْنةِ. . ! وَهَل يَتَعَــبُ الله ـ تعالى ـ حتَى يسْتَــرِيح؟ وَهُوَ القائِلُ عَنْ ذاتهِ الـعليَّةِ ﴿**إِنَّمَــا أَمْرُهُ إِذا أرادَ شيْــئًا أَنْ يَقُــولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون**﴾. . !؟

وأضــافَ «أبو أيْمن» : إنّهــا ليْست فـتنة واحــدة. . ، بَلْ كـثيــرٌ من الفـتَن والافتراءات ﴿**كبُرَت كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهم إنْ يَقُولونَ إلا كذبا**﴾.

قال «أيْمَنُ» : لقد تَذكّرتُ شيْئًا يا أبى . .

قــال «أبو أيمن» ومــا هو؟ قال : قَــوْلُ الله جَلّ جــلالُه : ﴿**ومــا مَــسَّنَا مِنْ لُغوب**﴾ واللُّغوب ـ كما شَرَحَهُ لنا شيخُنا ـ : التَّعَب.

قالَ «أبو أيْمن» وهذا أيْضًا من الرّدودِ المُفْحمَةِ لكُلِّ أَصْحاب البدَعِ والأَهْواء.

ثُمّ استطرد «أبو أيمن» يقول :

ـ ولا تَقفُ الآياتُ الباهراتُ ـ فى الخَلْقِ والإبْداع ـ عِنْدَ هذا الحدّ، بل يُلْفتُ اللهُ تعالى أَبْصَار وبَصائِرَ الـبشر إلى تسْخِير الشّمس والقَـمَر فى الحركة والدّوران؛ ﴿**كُلٌّ يَجْرِى إلَى أجَلٍ مسمى**﴾، سواء فى تقَلُّب اللّيلِ والنّهَار، أَوْ بقــائهما، إلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليْــهــا، فى تدْبِيــرٍ مُحْكَــمٍ، وتوْقيتٍ مُلْــزم، وضيــاء وعطاء. . !

قال «أشرف» : وأيضًا يا أَبى ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِساب﴾ .

فقالَ «أبو أيمن» : صـدق اللهُ العَظيم، وبارَكَ فيكَ يا ولَدى، فقـد كانَ مَنْشأُ علمِ الحـسـاب ـ الذى يُعَـدُّ مِن أَهمِّ العلوم المكتـسـبـة ـ ناتجًـا عن هاتينِ الآيتين العظيمتين، والـشّمس والقمر، ومن أجلِ ذلكَ خَتَمَ الله تعـالى الآيةَ الأولى بقولِهِ الكَرِيم : ﴿لَعَلَكُم تُوقِنون﴾ .

ثم قال «أيمن» : نَعْرِفُ ـ يا أبى ـ من خِلالِ الحقائق الكونيّة وعُلومِ الجغْرافيا أَنّ الأرضَ كُرويّة، والله تعالَى يقول : ﴿وهوَ الذى مَدَّ الأرْضَ﴾ فكَيْفَ يَكونُ المدُّ معَ التَّكوير؟

فقالتْ «إيمانُ» : هَلْ يَسْمح لى أبى بالإجابة؟

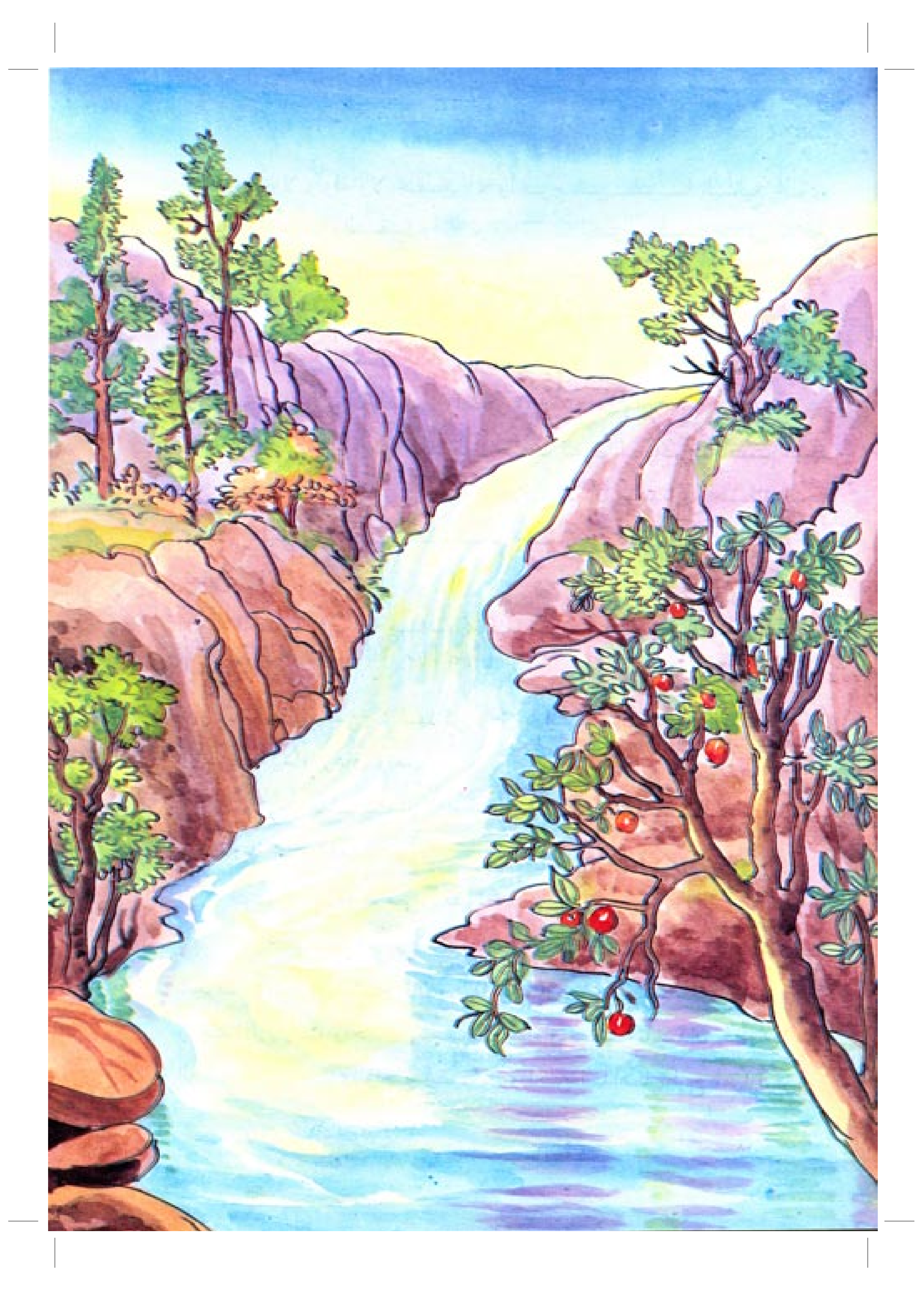
فقال «أبو أيمن» : أَرْجو أن لا يتضايق من ذلك «أيمن»؟

قال «أيمن» : أبَدًا. . . أبَدًا. . ، إذا كانَ عِنْد «إيمانَ» الجوابُ الشافى. . !

قالتْ «إيمـانُ» : إذا وقفنا فى سـهْلٍ فسيح، أوْ صـحْراء شاسـعة، أو عنْدَ شاطئ البحْر، لَرَأينا الامتداد والانْفساح، حيثُ ينْتهى نظَرُنا، وهذه حقيقةٌ لا ريْبَ فيهـا. . ، ولوْ أَنَّنا نَظَرنَا إلى الأفق لَرَأينا ما يُشبِـه القَوْسَ، من طرفٍ إلى طرف، وهذا ما يُؤكّدُ الكُرويَّة، وكذلك انطباقُ الفَضاءِ علَى الأرض وكَأَنّه قُبّةٌ.

وأضـافَ «أبو أيمن» : ولوْ أَنّكُم أَدركْـتُم مغـزى ختـام الآية ﴿إِنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾ لقدّرتُم المعانى التى تَضَمَّنَتْها الصُّور المَعْروضَة.

لَقَد مدَّ الله تعالى الأرضَ لِتَكُونَ ميْدانـا لحركةِ الأحياء على ظَهْرِها، وأَرْسَى فيها الجبال الشاهقة لتكونَ أداةَ توازُنٍ فى حركتِها، من غَيْرِ اضطرابٍ ولا زَلْزَلةِ ولا



خِـفّة. . ، وأَخْـرَجَ مِن بطـونِها اليـنابيعَ تجرِى أنهارًا للشُرْبِ والسُّقيا وأداة تواصُلٍ، ثُمَّ أخـرجَ الثّمـرات فى تلاقُحٍ وتزاوج. . ، وَجَعَلَ الـنّهار مـعاشـا، واللّيل سكنًا ولباسًا، يتعاقبانِ مِنْ غيْرِ طُغيانٍ.

فلابدَّ مِنْ إعْمال الفكْرِ والعقْلِ لإدراكِ حِكمة العطاء والرّحمة، وليعْقُبَ ذلك الإيمان الصادقُ والشّكرُ والحَمْد.

وتَدَخّلَتْ «أُمُ أيْمَن» بعـد طُولِ صَمْتٍ لتقـول : أراكم قد أَفَضـتُم الليلَة فى الحديثِ، مع مافيـه مِنْ مُتعةٍ وجَلال، إلاّ أَنَّ مَوعدنا مع صـلاةِ الفجْرِ يُحَتِّمُ علينْا النَّوم، فهلاّ استَكْمَلْتُم الحـوارَ فى ليلةِ الغَدِ ـ إن شـاءَ اللهُ تعالى ـ !؟

فأجابَتْها «إيمانُ» مداعِبةً : دائمًا تَكُونُ أُمُّنا الحبيبةُ أَوَّلَ من يُدركها النُّعاس!!!

فقالَ «أبو أيمن» : لها كلُّ الحقِّ يا ابنتى، فإنّ أعـمالَ البيْتِ ورِعَايةَ الأُسْرةِ، مدْعاة إرهاقٍ وتَعَب. . .

ثُمّ تَوَجَّه بالحديثِ إلى «أُمِّ أيمن» فقال : أَستَسْمِحكِ دقائقَ قليلة، فقد قاربْنا ختام الحديث. . !!

فَتَبَسَّمتْ علامةُ الرّضَى والقبول.

فقـال «أبو أيمن» : فى حديقـة الدّارِ عِنْدَنا أَكْثَـرُ مِنْ شَجَـرةٍ فاكِـهةٍ، وفى الطّرفِ الأَيمنِ منها شَـجَرتانِ مِنْ (المَانْجُو)وهما مِن فَصيلـةٍ واحدةٍ، وقَـد زُرعـتا فى وَقْتٍ واحـد، وَتُسْـقيـانِ بمـاءٍ واحـدٍ، وتأخذان حَـظَّهمـا مِن العِـنايةِ على

مستـوى واحـدٍ أيضًـا. . ، لكـنَّ إحـداهُما تطرَحُ ثمرًا أَوْفـر. . وَأطْعَم وأَطيب وأَشهَى. . ، أفلا يَدْعونـا هـذا إلى التَّفـكُّرِ والتّـدبر فى أَنّ يدًا غـيـر يَدِنا هى التى قـدّرت ودَبّـرت فى كُلٍّ من الشجرتيْن هذا التمايز!!

فلو أَمعـن الإنسانُ النّظر فى هذا، وأَعْـمَلَ فِكْرَهُ وَعَقْلَه لَمَا جَحَدَ وأَنْكَر، ثُمَّ عصى وكَفَرَ. . !

وَذَلِكَ ـ يا أَعِـزّائى ـ مِن تمامِ الحَدِيثِ، لإنقـاذِ الإنْسانِ مِنْ حُـفرَةِ الشِّـرك، والارْتفاع بِهِ إلى قمّةِ الإيمان.

وعلى الرّغمِ من هذا البـيانِ، وتحْريك العـقْل والوجْدانِ، بَقـيت طائفةٌ من الناس ـ عريضة كثيرة ـ على جهالتها. . ، وكانَ ذلك مِن أَعْجب العَجَبِ.

قالَ «أيْمَن» : إذن . . مِنْ أَجْلِ ذلك خاطب الله تعـالى نبيَّنا «ﷺ» بقوْله : ﴿**وَإِنْ تَعْجَب فَعَجَبٌ قَوْلهم أإذا كُنا تُرابًا أإنا لفى خَلْقٍ جديد**﴾.

فأجابَ «أبو أَيـمن» : تماما يا «أَيْمن». . ، فالْعَجَبُ كُلُّ الْعَـجَبِ مِمّن يرى قُدْرَةَ الله تعَالى ظَاهرةً فى كُلِّ شىء مِنْ خَلْقه، وخـاصةً فى الذات الإنْسانيّة، ثُمّ يُنْكِرُ البَعْثَ. . ، والذى يُنْكِرُ ذلكَ كأنَّمَا يُنْكِرُ وُجُودَهُ، قال تعالى : ﴿**وقد خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولَمْ تَكُ شيْئا**﴾.

فَقَالَ «أَشْرَف» مُخاطِبا أَخاهُ «أَيمن» :

ـ لَقَدْ ذكَّرْتَنِى يا أخى بقصّةِ «أُبى بن خَلَف» مَعَ رسولِ الله «ﷺ»، حين فَتَّ العَظمَ البالى بيدِه، ثُمّ نَفَخَهُ فى وَجْه رسول الله «ﷺ» وقال :

ـ أأنتَ تَقُولُ بأنّ ربّكَ يُحيى الإنسانَ ويَبْعَثُـه بعْدَ أَن يُصْبحَ رُفاتًا وترابا كَهَذا الرميم!!!؟؟

فأجَابَهُ «ﷺ» : «نعم، ورغْم أَنْفِكَ، ثُمّ يُحاسبك حِســابًا عسيرا، ويَحْشُرُكَ إلى جَهَنّم خالدًا فيها . . »

قَال «أبو أيمن» : باركَ اللهُ فيكُم، وهداكُم إلى كُلِّ خيْر، ولَسوفَ نَعْرِضُ ـ بإذن اللهِ تعالى ـ لِهذه القصّةِ فى حينِها .

ولا تَنْســوا أَنَّ «أُبيًّا» وأمـثالَهُ هُم الّذيــن عَنَاهُم الله تعالى بقــوْله : ﴿**أولئكَ الذّين كَفَــروا بِربِّهم وأولئكَ الأَغْلالُ فى أعْناقِهم وأولئك أصــحابُ النَّار هُمْ فيــهَا خالِدون**﴾ .

فقال الجميع : صَدَق اللهُ العَظيم .

وقال «أبو أيْمن» : والآن . . هَيــا إلى فراشِكُم وَوِرْدِكُم، وتُصْبــحون على خَيْر .

وإلى اللقاء في القصة القادمة

(٦٣) «حتى يغيروا ما بأنفسهم» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ
يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ
فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ
النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ
وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ
وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)
وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ (٥) ﴾

أسئلةُ القِصّة

س ١ ـ كيْفَ تَمّت تسميةُ سُوَر القرآن الكريم؟

س ٢ ـ ماذا قال «جاجارين» أَوّل رائد فضاء بعد عوْدته إلى الأرض؟

س ٣ ـ بماذا عَلّق «أَشرفُ» على ذلك؟

س ٤ ـ كيفَ استَدل الأَعْرابىُّ بِنَظْرتهِ على وجودِ الله تعالى وقُدْرته؟

س ٥ ـ هل تذكُر الآيـات التى جاءت فى القرآن الـكريم على لسان سـيدنا «إبراهيم» حين فكّر وتحيّر، ثُمّ اهتدى؟

س ٦ ـ كم مرّة وَرَدَتْ كلمة العرْش فى القرآن الكريم؟ وإلى ماذا ترْمز؟

س ٧ ـ ما معنى الاستواء؟ وماذا قال الإمام «مالك» ـ رضى الله عنه ـ لِلّذى سأله عن ذلك؟

س ٨ ـ كيْفَ تَرُدُّ على فتنة القائلـين بأَنّ الله تعالى خَلَقَ السماوات والأرض فى ستةِ أيامٍ ثم استراح فى اليوم السابع؟

س ٩ ـ مِمَ تعلّم الإنسان علم الحساب؟

س ١٠ ـ كيف بيّنتْ «إيمان» مفهوم مَدّ الأرض مع التكوير؟

س ١١ ـ كيف ختَمَ «أبو أيمن» حديثَ الليلة؟

س ١٢ ـ اذْكُر قِصةَ «أُبى بن خَلَفٍ» مع رسولِ الله «ﷺ».

دُروسُ النّحو

تعرفـون يا أبنائى أَنّ الأفْعال (الماضى والمضارعُ والأمر) على نوْعين:

١ ـ مبنىٌّ ٢ ـ مُعْرب.

وأَنّ (المبنىُّ) هُوَ الذى لا تتغير حركةُ آخرِه مهما اختلفَ مَوْضِعه من الجملة، و(المُعْرَبُ) هو الذى تتغير حركةُ آخِرِهِ باختلاف موضِعِه من الجملة.

فالماضى والأمر مبنيان، والمضارع مُعْرَبٌ.

ولكِنَّ المُضارِع قد يُبْنَى فى حالاتٍ، وهذا هو موضوعُ درسِنا اليوم؛

١ ـ يُبنى الفـعلُ المُضـارِعُ على السّكـون إذا اتّصـلت به نونُ الإنـاث (نونُ النِّسـوة)، مِـثْل قـوْلِهِ تعـالى : ﴿**والوالِدات يُرْضِعْنَ**﴾ وقـوله : ﴿**والمُطلَّقـاتُ يتربّصْنَ**﴾.

٢ ـ ويُبنَى على الفَـتْحِ إذا اتصلت به نونُ التـوكيد، مـثْلُ قولِهِ تعـالى ﴿**كَلاّ لَيُنْبَذَنّ فى الحُطَمَة**﴾

التمارين :

١) أَعطِ خمسة أَمْثلةٍ على بناء الفعْلِ المُضارِعِ على الفَتْحِ.

٢) « « « « « « « « « السّكونِ.

٣) أَعْرِب ما يلى :

(أ) التلميذاتُ يكْتُبْنَ الواجِبَ.

(ب) لا تَلْهُوَنَّ أثناء الدَّرس.

سلسلة
أطفالنا فى رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث